كلمة حول ملحمة: ما هو الحق؟

سعد اسحق سعدي

سؤال من أصغر الأسئلة مبنى وأعظمها وأعمقها معنى. سؤال يطرحه كلّ إنسان في كل زمان ومكان. الإنسان الذي لم يطرح هذا السؤال واحد أحد هو إنسان لم يولد ولم يوجد. سؤلل ليس للعاقل عنه مناص، وليس له في غير الجواب عنه خلاص. لأنه موجود عاقل يسأل عن سرّ الوجود، وَلِأنَّهُ يموتُ كالعنكبوت ويُقبرُ كَخَلَدٍ يُفَتّشُ عن إكسير الخلود. حول سرِّ الحياة يدور ويمور ذهوله حتى الموت. وأمام رهبة الموت يعلو أنينه وحنينه حتى عرش الحي الذي لا يموت. تضيق الحياة على المظلوم فيقول الحياة ظلم والموت حق. وتقول الحياة للظالم: أخذتَ حقَّك منّي فإليك عنّي. فيقول: الحياة حلم زائل والدائم حقٌّ والزائل بق. تجرّع أو استمرأ الظلم حتى تهجّأ كلمة العدل ودوَّن للعدل شرائع، فتصادمت الشرائع وتعاظمت المظالم والمهالك، وأكلت الممالك الممالك، وظلَّ يسأل ما هو الحق؟ من هذا السؤال كانت ملحمة كلكاميش بل ملحمة التاريخ البشري كلّه. في معترك هذا السؤال صالت وجالت دول ودالت، وسادت ثقافات وحضارات وبادت، وتَلاقحت فلسفات وأديان وتناطحت وتكافحت.

هل طلب الإنسان الحق مقوِّماً إليه الدربَ ومخلصاً له القلبَ؟ كَلاّ وإلاّ ما امتلأ تاريخه بالحروب والكروب وإزهاق الأرواح والنواح. كلاّ وإلاّ ما صلب حماة الدين وقضاة العدل البريء الشاهد للحق السيّد المسيح، لا مجرَّد شخص بريء كالمسيح.

يروي الإنجيل: "سأل بيلاطسُ يسوعَ: أأنتَ ملكٌ إذن؟ أجاب يسوع: أنت قلت. لهذا ولدتُ لأشهد للحق. أجابه بيلاطسُ: ما هو الحق؟ قال هذا وخرج ..." (يوحنّا ١٨ : ٣٧ – ٣٨). ولمّا خرج دخل السؤال إلى قلبه ولم يخرج منه طوال حياته. بمَ شعر وفكّر؟ كيف خبَّر وعبّر؟ هذا السؤال ملحمة تدور رحاها لا في ساحة حرب بل في عقل وضمير بيلاطس. عالج طلسم الوجود والعدم وعارك لغز الحياة والموت والفناء والخلود والعدل والظلم. أنكر وجود الحق وكفر بالآلهة. استمر يطرح السؤال على يسوع الذي صلب طوال حياته حتّى سمع ضميرَه يقول له: الحقّ الذي لا تقوى على نكرانه هو أنّك ظالم آثم ولن يغفر لك إلاّ البارُّ البريءُ الذي صلبت. لا مهرب لك منه إلا إليه. يهوذا تلميذه الذي خانه وسلّمه إلى أعدائه بثلاثين من الفضّة ندم فألقى إليهم بثمن الخيانة ومضى وخنق نفسه. وكل أعدائه الذين يرفضون غفرانه سيصرخون معاً في يوم الدينونة: "أيتها الجبال اسقطي علينا. أيّتها الآكام غطّينا وأخفينا من وجه الجالس على العرش الأبيض. فتهرب الجبال والآكام ولا يوجد لهما موضع." (رؤيا). وتذكّر بيلاطس ما سمع من مخبريه أن يسوع غفر لصالبيه قبل أن يموت على الصليب قائلا: "يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعرفون ماذا يفعلون." لذلك ألح في طلب الغفران من يسوع الذي صلب حتّى سمع صوت يسوع يقول له:

إنّي أُحِبُّكَ باذِلاً عَنْكَ الدِّما وَأجودُ بِالغُفْرانِ كَالمَطَرِ السَّكيبْ

مَعْنى أُحِبُّكَ أنْ أُمَلِّكَكَ السَّما وَأموتَ مِنْ فَرَحي فِداكَ عَلى الصَّليبْ

شخصية بيلاطس:

متمزِّقة بين خوف من إله اليهود وخوف أعظم من قيصر: "يستحق الموت حسب ناموسنا لأنه جعل نفسه ابن الله. فلما سمع بيلاطس هذا ازداد خوفاً وسأل يسوع: من أين أنت؟" "إن أطلقته فلست محبّا لقيصر."

شخصيّة تكن احتقارا لليهود: "هذا هو ملك اليهود". "خلط بيلاطس دمهم بدم ذبائحهم".

تثيره كلمة "الحق" فيسأل يسوع: "ما هو الحق؟"

صاحب ضمير يميّز بين العدل والظلم: "غسل يديه وقال: أنا بريء من دم هذا البار."

ما هو الحق؟

سعد سعدي

مقدِّمة

السَّما وَالأرْضُ قالا كِلْمَتَيْنْ
هُوَذا الإنْسانُ يَحْيا ساعَتَيْنْ
ساعَةٌ مِنْ عُمْرِهِ تَأْتي إلَيهْ ثُمَّ تَأْتي السّاعَةُ الأخْرى عَلَيهْ
ساعَةٌ أثْناءَها هُوَ خَصْمٌ وَحَكَمْ
ثُمَّ تَأْتي ساعَةٌ هُوَ فيها المُتَّهَمْ
يَحْكُمُ الإنْسانُ في ساعَتِهِ أنْ يَموتَ الحَقُّ صَلْباً أو يُصانْ
ثُمَّ تَأْتي ساعَةُ الحَقِّ الَّتي يَخْلُصُ الإنْسانُ فيها أو يُدانْ.

الفصل الأوَّل

قيـــلَ: هـــذا لَـــمَّ كُـــلَّ اللؤَمـــا وَادَّعـــى أمْـــراً عَظيمـــاً وَتَجَبَّـــرْ
قيـــلَ: قَـــدْ سَـــفَّهَ كُـــلَّ العُلَمـــا وَإمـــامَ الأُمّـــةِ الأكْبَـــرَ صَـــغَّرْ
قيـــلَ: جَـــدَّفْتَ وَأغْضَـــبْتَ السَّـــما وَفَتَنْـــتَ الأرْضَ، بَـــلْ مـــا قيـــلَ أكْبَـــرْ
قيـــلَ لـــي: قُلْـــتَ: "أنـــا ابْـــنُ اللهِ" مَـــنْ وَعَـــدَ اللهُ بِـــهِ الـــدُّنْيا وَبَشَّـــرْ
إنَّ مـــا قيـــلَ اتّهـــامٌ قاتِـــلٌ وَأرى أنَّـــكَ مِمَّـــنْ يَتَبَصَّـــرْ
قيـــلَ: هـــذا قـــالَ: إنّـــي مَلَـــكٌ وَتَحـــدّى عَلَنـــاً سُـــلْطَةَ قَيصَـــرْ
أوَحَقّـــاً قُلْـــتَ: إنّـــي ملـــكٌ؟ أصَـــحيحٌ مَلِـــكٌ؟ قَـــلْ لـــي اليَقـــينْ

أَوَمِـــنْ عِنْـــدِكَ هـــذا القَـــولُ أمْ مِـــنْ آخَـــرينْ؟

***

أيَهـــوديٌّ أنـــا؟ شـــعبُكَ وال رُؤســـا الأحْبـــارُ ســـاقوكَ إلِيّـــا
مـــا الّـــذي دَبَّرْتَـــهُ؟ مـــاذا فَعَـــلْ تَ وَمـــا حاوَلْتَـــهُ؟ رُدَّ عَلَيّـــا

***

مـــا مِـــنَ الـــدُّنْيا وَلا ناموسِـــها مَمْلَكَتـــي
لَـــو مِـــنَ الـــدُّنْيا وَمِـــنْ ناموسِـــها مَمْلَكَتـــي
لِحَمـــاني خَـــدَمي شَـــأْنُهُمُ شَـــأْنُ الجُنـــودْ
وتفـــانوا أنْ يَقـــوا السَّـــيِّدَ مِـــنْ كَيـــدِ اليَهـــودْ
فـــإذَنْ مَمْلَكَتـــي مـــا مِـــنْ هُنـــا مِـــنْ ذي الـــدُّنى

مَلِـــكٌ قـــالَ إذَنْ لا يُنْكِـــرُ قَولُـــهُ حُلْـــوٌ، كَـــلامٌ سُـــكَّرُ
أيـــنَ هُـــمْ خُدّامُـــهُ أعْوانُـــهُ أيـــنَ هُـــمْ فُرســـانُهُ وَالعَسْـــكَرُ
أتُـــرى فـــي جَيبِـــهِ خَبَّـــأهُمْ؟ أمْ تُـــراهُمْ فـــي السَّـــما قَـــدْ عَسْـــكَروا؟
أنْـــتَ لا تَقْصُـــدُ مـــا قُلْـــتَ فَقُـــلْ: مـــا هُـــوَ الحَـــقُّ؟ أجِبْنـــي مـــا هُـــوَ الحَـــقْ؟

***

كـــان مـــيلادي لهـــذا ولهـــذا قـــد ســـعيتُ
جئـــتُ كـــي أشـــهدَ للحـــقِّ لهـــذا قـــد أتيـــتُ
كُـــلُّ مَـــنْ كـــانَ مِـــنَ الحـــقِّ امْـــرُؤٌ يَسْـــمَعُ صَـــوتي
وَهْـــوَ، إنْ أصْـــمُتْ، لَبيـــبٌ قَلبُـــهُ يَفْهَـــمْ صَـــمْتي

***

مـــا هُـــوَ الحَـــقُّ؟ لِمـــاذا لا تُجيـــبْ؟ إنَّ هـــذا الصَّـــمْتَ مرهـــوبٌ مُريـــبْ
رَجُـــلٌ مُـــتَّهَمٌ أنْـــتَ فَقُـــمْ وَقُـــلِ الحَـــقَّ كَمـــا قـــامَ الخَطيـــبْ
هِـــيَ ذي الـــدُّنْيا تُعاديـــكَ فَمـــا هَـــيّجَ الـــدُّنْيا عَلـــى البـــارِّ النَّجيـــبْ؟
هاجَـــتْ الهَوجـــاءُ ماجَـــتْ عَصَـــفتْ قصـــفت فـــي عصـــفها الغصـــنَ الرطيـــب
جُنَّـــتِ الـــرّيحُ فَهَـــدِّئْ روعَهـــا بِكَـــلامٍ طَيِّـــبٍ حَتّـــى تَطيـــبْ
هـــيَ ذي الـــدُّنْيا سُـــؤالٌ زائـــرٌ فـــاغِرُ الفَكّـــينِ كَـــالمَوتِ الرَّهيـــبْ
أنْـــتَ وَالـــدُّنْيا قِتـــالٌ، واحِـــدٌ مِنْكُمـــا اليَـــومَ قَتيـــلٌ فـــي صَـــليبْ

***

مـــا هـــو الحـــقُّ؟ عجيـــبٌ لا يُجيـــبْ فلمـــاذا يـــا تُـــرى لا يـــتكلّمْ؟
هـــوَ حتّـــى المـــوتِ محـــزونٌ كئيـــب أنـــا أدري جيّـــداً كـــم يتـــألَّم
هـــوَ مظلـــومٌ ولكـــنّ العجيـــبْ أنّـــه مستســـلمٌ لا يـــتظلَّم
قيـــل عنـــه: خطـــرٌ داهٍ رهيـــب فـــتنَ الـــدنيا بمـــا قـــال وعلَّـــم
غيـــر أنّـــي لا أرى هـــذا النجيـــب درسَ الحكمـــةَ يومـــاً وتعلَّـــم
أم تـــرى مـــا قالـــه هـــذا الغريـــب منطـــقٌ فيـــه قيـــاسٌ أو مســـلَّم؟
أيّهـــا المطلـــوب ظلمـــاً للصـــليب مـــا هـــو الحـــقُّ؟ أجبنـــي مـــا هـــو الحـــقّ؟

***

أيَظـــنُّ الحـــقَّ عـــدلاً وقداســـه هـــولا يعـــرفُ أســـرارَ السياســـه
كيـــفَ يُرجـــى العـــدلُ مـــن حكـــمٍ وقـــد وضـــع الحكـــمُ علـــى الظلـــمِ أساسَـــه
ذاك محكـــومٌ وهـــذا حـــاكمٌ أيُســـاوي الخـــادِمُ المَـــرْؤوسُ راسَـــه؟
فـــإذا المظلـــومُ أمســـى ظالمـــاً حَشَـــرَ الأحْـــرارَ فـــي ســـوقِ النُّخاسَـــه
هـــؤلاءِ العُلمـــاءُ اللؤمـــا خُبَثـــاءٌ فـــي كِســـاءٍ مِـــنْ كِياسَـــه
فُقَهـــاءٌ سُـــفَهاءٌ كُلُّهُـــمْ أهْـــلُ خُبْـــثٍ وَخِـــداعٍ وَخَساســـه
وَعَظـــوا بِـــالفَمِ عَـــنْ دينِ القَداسَـــه وَطَـــوَوا القَلْـــبَ عَلـــى دُنْيـــا النَّجاسَـــه
وَلِحـــاهُمْ بَلَغَـــتْ أقْـــدامَهُمْ وَهْـــيَ لا تُصْـــلِحُ إلاّ لِلكِناسَـــه
لـــو علـــى رأســـي أنـــا أجلســـتُهمْ كـــانَ كـــلٌّ مـــنهمُ قـــد شـــالَ فاسَـــه
مـــا الـــرئيسُ الحـــقُّ بـــارٌّ عـــادلٌ الـــرئيسُ الحـــقُّ مـــن يحفـــظُ راسَـــه
بعـــضُ عـــدلٍ بعـــضَ يـــومٍ حســـبُه بعـــض خيـــر كـــل أمجـــاد الرئاســـة
لـــيسَ مـــن يُرضـــي جميـــعَ النـــاسِ، لا الـــرئيسُ العـــدلُ مـــن يُرضـــي أناسَـــه
وإذا مـــا اشـــتدَّ بأســـاً ظلـــمَ النـــاسَ حتّـــى مجّـــدوهُ بحماســـة
وهْـــوَ إنْ حقّـــق بعـــض العـــدل مـــن بعـــض ضـــعفٍ جلـــدوهُ بخساســـه

هـــــوَ راعٍ ويُراعـــــى ذوقُـــــه ... خُبَثـــاءٌ فـــي كِســـاءٍ مِـــنْ كِياسَـــه
فهـــــو ذوّاقٌ كـــــريمٌ مُحسِـــــنٌ ... أهْـــلُ خُبْـــثٍ وَخِـــداعٍ وَخَساســـه
دعْ شـــؤونَ الحكـــمِ والعـــدلِ فمـــا ... وَطَـــوَوا القَلْـــبَ عَلـــى دُنْيـــا النَّجاسَـــه
هـــمْ أســـاطينٌ شـــياطينٌ وهـــم ... وَهْـــيَ لا تُصْـــلِحُ إلاّ لِلكِناسَـــه
لـــيسَ هـــذا مـــن صـــفوفِ العلمـــا ... كـــانَ كـــلٌّ مـــنهمُ قـــد شـــالَ فاسَـــه
إنَّ صَـــفوَ العـــدلِ لا ظلـــمَ بـــه ... الـــرئيسُ الحـــقُّ مـــن يحفـــظُ راسَـــه
إنَّ معنـــىَ العـــدلِ ســـرٌّ مُـــبهَمٌ ... بعـــض خيـــر كـــل أمجـــاد الرئاســـة
إنْ يكـــنْ بعـــضٌ مِـــنَ الأربـــابِ قـــد ... الـــرئيسُ العـــدلُ مـــن يُرضـــي أناسَـــه
وإذا مـــا اشـــتدَّ بأســـاً ظلـــمَ ... النـــاسَ حتّـــى مجّـــدوهُ بحماســـة
وهْـــوَ إنْ حقّـــق بعـــض العـــدل مـــن ... بعـــض ضـــعفٍ جلـــدوهُ بخساســـه
هـــــوَ راعٍ ويُراعـــــى ذوقُـــــه ... جَـــوّعَ الأمّـــةَ أم جمّـــع ماسَـــه
فهـــــو ذوّاقٌ كـــــريمٌ مُحسِـــــنٌ ... حـــينَ يختـــارُ الجـــواري ولباسَـــه
دعْ شـــؤونَ الحكـــمِ والعـــدلِ فمـــا ... ســـاسَ أهْـــلَ الأرضِ يومـــاً غيـــرُ ساســـه
هـــمْ أســـاطينٌ شـــياطينٌ وهـــم ... ديبلُماســـيّونَ أربـــابُ كياســـه
لـــيسَ هـــذا مـــن صـــفوفِ العلمـــا ... فهْـــوَ لا يعـــرفُ ظلمـــا أو نجاســـه
إنَّ صَـــفوَ العـــدلِ لا ظلـــمَ بـــه ... النـــاسَ حتّـــى مجّـــدوهُ بحماســـة
إنَّ معنـــىَ العـــدلِ ســـرٌّ مُـــبهَمٌ ... بشـــرٌ فـــي الأرضِ لـــنْ يشـــربَ كاسَـــه
إنَّ معنـــىَ العـــدلِ ســـرٌّ مُـــبهَمٌ ... لـــم يَحُـــلَّ العَقْـــلُ فـــي الأرضِ التباسَـــه
إنْ يكـــنْ بعـــضٌ مِـــنَ الأربـــابِ قـــد ... أدْرَكـــوا العَـــدْلَ أوِ اسْتَقْصَـــوا أساسَـــه
فبنـــو الأرضِ الترابيّـــونَ مـــا ... مـــنهمُ مَـــنْ أدركَ العـــدلَ وقاسَـــه
باســـمه كـــان عَنـــاءٌ فـــي الـــدُّنى ... والكراســـي والمآســـي والتعاســـه
كـــلُّ مظلـــومٍ يُصـــلّي لاســـمه ... وإليـــه يرفـــع العـــاني التماسَـــه
فـــإذا مـــا العـــدلُ أدمـــى يـــدَهُ ... ضـــربَ الأرضَ بـــه حـــالاً وداسَـــه
أمـــمُ الـــدنيا تفـــانَوا باســـمه ... كلّهـــم فـــي شـــرعة الغابـــاتِ ساسَـــه
باســـمِه كـــم أمّـــة فـــي شَـــرْعِها ... أُمَـــمُ الـــدُّنْيا تُـــرابٌ وَهْـــيَ ماســـه
ســـيحلُّ العـــدلُ فـــي الـــدنيا إذا ... جـــاء ربُّ العـــدل كـــي يحكـــمَ ناسَـــه
أيُهـــا المظلـــومُ إنّـــي حـــاكمٌ ... بشـــرٌ يحكمُـــه شـــرعُ السياســـه
أيّهـــا القـــدّيسُ محكـــومٌ أنـــا ... عنـــدما أحكـــمُ بالصـــلبِ القداســـه

***

أتـــــراهُ قـــــال هـــــذا وادّعـــــاهُ؟ أوَحقّـــــاً مُـــــدَّعاهمْ مُـــــدَّعاهْ؟
إنْ يكـــنْ ذا البـــارُّ قـــد فـــاهَ بـــه فهـــو مقبـــولٌ كمقبـــول الصـــلاهْ
جـــاءَ كـــي يشـــهد للحـــقّ ادّعـــى أببطـــلٍ فـــاهَ واستشـــهدَ فـــاهْ؟
أبـــداً مـــا افتـــرّ فـــاهُ أبـــداً عـــن ســـوى الصِّـــدْقِ وشـــفَّتْ شـــفتاهْ
هـــو بـــارّ يتجلّـــى كالضُـــحى جـــلَّ أنْ يكـــذبَ فـــي قـــول جـــلاه
هـــو عـــالٍ عـــن دنايـــا ذي الـــدُنى يتعـــالى أنْ يُـــدانى فـــي عُـــلاه
هـــوَ مـــن آلهـــة الأولمـــبِ إنْ لـــم يكـــن منهـــا فهـــذا ابـــن إلـــهْ

***

أنْـــتَ مِـــنْ أيـــنَ؟ أمـــا كَلَّمْتَنـــي؟ أوَلا تَعْـــرِفُ مَنْـــذا كَلَّمَـــكْ؟
أوَلا تَعْـــرِفُ أنْ لـــي سُـــلْطَةٌ أنْ أُنَجّيـــكَ الـــرَّدى أو أصْـــلُبَكْ؟

***

أنـــت لـــو لـــم تعـــطِ مـــن فـــوق قضـــاءً مـــن يـــديا
لـــم تكـــن صـــاحب ســـلطانٍ لـــه حكـــمٌ عليّـــا
فلهـــذا كـــل مـــن ســـلمني فـــي يـــدكا
هـــو عنـــد اللهِ جـــانٍ آثـــمٌ أكثـــرُ مِنكـــا

***

مـــا هُـــوَ الحَـــقُّ أحَـــلٌّ لِقَضِـــيَّهْ مِـــنْ قَضـــايا دَولَـــةِ الـــرّومِ العَلِيَّـــهْ؟
مـــا هُـــوَ الحَـــقُّ أحُكْـــمٌ مُبْـــرَمٌ فـــي قَضـــايا الـــدّينِ وَالـــدُّنْيا الشَّـــقِيَهْ؟
أمْ جِـــدالٌ فـــارِغٌ أمْ قِصَّـــةٌ مِـــنْ خُرافـــاتِ شُـــيوخِ اليَهودِيَّـــه؟
أمْ هُـــوَ الـــذَّبْحُ الَّـــذي يَدْعونَـــهُ دَمَ قُرْبـــانٍ لِغُفْـــرانِ الخَطِيَّـــه؟
لَـــيسَ لـــي وَقْـــتٌ لِكَـــي أسْـــمَعَ عَنْ تُرَّهـــاتٍ وَخُرافـــاتٍ غَبِيَّـــهْ
أسَـــيَهْديني يَهـــودِيٌّ هُـــدىً أمْ سَـــيُهْديني يَهـــودِيٌّ هَدِيَّـــهْ؟
هـــا يَصـــيحونَ: إذا أطلَقْتَـــهُ خُنْـــتَ راعـــي دَولَـــةِ الـــرّومِ العَلِيَّـــه
كُـــلُّ عـــاصٍ قـــالَ: "إنّـــي مَلِـــكٌ" قـــاوَمَ القَيصَـــرَ وَاسْـــتَعْدى الرَّعِيَّـــه
أيُّ ديـــنٍ هُـــوَ ديـــنُ الـــبُغْضِ مِـــنْ أيّ جـــانٍ مُجْـــرِمٍ دُنْيـــا الدَّنِيَّـــه!
أيُّ بُغْـــضٍ مـــا لَـــهُ مِـــنْ سَـــبَبٍ يَتَلَظّـــى فـــي شُـــيوخِ الهَمَجِيَّـــه!
لَـــمْ يُهَـــيِّجْهُمْ سِـــوى شَـــيطانِهِمْ أنْ يُبيـــدوا هـــذِهِ الـــنَّفْسَ الزَّكِيَّـــه
مـــا أنـــا بـــيلاطُسُ البُنْطِـــيُّ إنْ لَـــمْ أُذِلَّ اليَـــومَ شَـــعْبَ البَرْبَرِيَّـــه
أنـــا رومِـــيٌّ وَأنّـــي صـــالِبٌ مَلِـــكَ اليـــاهودِ أوبـــاشِ البَرِيَّـــه
لَـــيسَ لـــي فـــي الحَـــقِّ مِـــنْ مَصْـــلَحَةٍ أسَـــيُعْطيني حَيـــاةً أبَدِيَّـــهْ؟

***

أوَهـــذا عـــارفُ الحـــقِّ هنـــا ... هـــوَ لا يعـــرفُ حتّـــى مَـــنْ أنـــا
إنْ يكـــنْ يعـــرفُ مـــا الحـــقُّ فَمـــا ... بالُـــهُ لِلظُّلْـــمِ يَعْنـــو مُـــذْعِنا؟
مـــا هُـــوَ الحَـــقُّ لِمَولـــودِ الفَنـــا ... غَيـــرَ أنْ يَحْيـــا إلـــى أنْ يُـــدْفَنا
مـــا عَرَفْـــتُ الحَـــقَّ إلاّ قَيصَـــراً ... فَـــإذا قَيصَـــرُ وَلّـــى فَأنـــا

***

مَـــنْ تُـــراهُ هُـــوَ هـــذا؟ مَـــنْ تُـــراهْ؟ ... أيُّ رَبٍّ يَتَجَلّـــى فـــي أســـاهْ
إنَّ فـــي عَينيـــهِ حُـــزْنٌ جَلَـــلٌ ... وَجَمـــالٌ وَجـــلالٌ لِإلـــهْ
إنَّـــهُ بـــارٌّ بَـــريءٌ ذَنْبُـــهُ ... أنّـــهُ بـــارٌّ وَهـــذا مـــا جَنـــاهْ
وَهُـــمُ الأشْـــرارُ يَقْضـــي شَـــرُّهُمْ ... أن يُزيحـــوا البـــارَّ عَـــنْهُمْ وَسَـــماهْ
هُـــمْ يُـــدينونَ بَريئـــاً وَرِعـــاً ... طـــاهِراً لَـــمْ تَقْتَـــرِفْ شَـــرًّا يَـــداهْ
واجِبـــي يَفْـــرِضُ أنْ أُطْلِقَـــهُ ... وَضَـــميري صـــارِخٌ فِـــيَّ قَضـــاهْ
أسَأُرْضـــي العَـــدْلَ أمْ مَصْـــلَحَتي؟ ... مَـــنْ يُرينـــي مَخْرَجـــاً مِـــنْ ذا المَتـــاهْ؟
أنـــا فيـــهِ حـــائرٌ لا أهْتَـــدي ... مَعَـــهُ حينـــاً وَحينـــاً مِـــنْ عِـــداهْ

يصـــرخونَ: "اصـــلبْه أهْـــرِقْ دَمَـــهُ" ... وَهْـــوَ ثَبْـــتٌ صـــامِتٌ صَـــمْتَ إلـــهْ
هـــوَ يَرْجـــو العَـــدْلَ مِنّـــي وأنـــا ... حـــائرٌ بَـــينَ رَجـــاهُمْ وَرَجـــاهْ
أبْصَـــرَتْهُ امْرَأتـــي فـــي حُلُـــمٍ ... لَيلَـــةَ الأمْـــسِ فصـــاحتْ ألـــفَ آهْ
أبْلَغَتْنـــي امْرَأتـــي تُنْـــذِرُني ... أنَّـــهُ مِـــنْ عـــالَمٍ لَسْـــنا نَـــراهْ
والرُّعـــاعُ الفُقَهـــاءُ السُّـــفَها ... هَـــدَّدوني بِعُيـــونٍ وَشِـــفاهْ
هـــمْ يَقولـــونَ: إذا أطْلَقْتَـــهُ ... لَـــمْ تَكُـــنْ مِـــنْ قَيصَـــرٍ بَـــلْ مِـــنْ عِـــداهْ
وَأنـــا أعْلَـــمُ عِلْمـــاً أنَّهُـــمْ ... لَعَنـــوا قَيصَـــرَ فـــي كُـــلِّ صَـــلاهْ
وأنـــا الرومـــيُّ روحـــاً وَدَمـــاً ... قَيصَـــرٌ رَبّـــي وَلا رَبَّ سِـــواهْ
هـــمْ أرادوهـــا عَوانـــاً فَلْـــتَكُنْ ... مَـــعَ مَخْلـــوقٍ لَهـــا مُنْـــذُ صِـــباهْ
هِـــيَ حَـــرْبٌ بَينَنـــا سَـــوفَ نَـــرى ... مَـــنْ سَـــيُحْني آخِـــرَ الأمْـــرِ الجِبـــاهْ
حَسَـــناً فَلْيَصْـــلُبوا ابْـــنَ اللهِ كَـــي ... يَلْعَـــنَ اللهُ سَـــماهُمْ مِـــنْ سَـــماهْ
حَسَـــناً فَلْيَصْـــلُبوا هُـــمْ لا أنـــا ... مَلِـــكَ اليـــاهودِ قُرْبـــى لِلإلـــهْ
وَلْيَموتـــوا فـــي عِـــراكٍ بَعْـــدَهُ: ... بَعْضُـــهُمْ مِنْـــهُ وَبَعْـــضٌ مِـــنْ عِـــداهْ
وَلْيُبيـــدوا بَعْضُـــهُمْ بَعْضـــاً مَـــدى ... الـــدَّهْرِ كُـــلَّ الـــدَّهْرِ حَتّـــى مُنْقَضـــاهْ
وَلْيُـــدَمِّرْ قَيصَـــرٌ هَـــيكَلَهُمْ ... وَلْيَتيهـــوا الـــدَّهْرَ فـــي كُـــلِّ مَتـــاهْ

إنّهـــا الحَـــرْبُ وَهـــذي خِطّتـــي ... سَـــنَرى مِـــنْ كُـــلِّ داهٍ مـــا دَهـــاهْ
إنَّ شَـــعْباً لَـــيسَ فيـــهِ مـــا نَهـــاهْ ... عَـــنْ بَـــريءٍ مَـــوتُ خِـــزْيٍ مُنْتَهـــاهْ
لَعْنَـــةٌ تَلْحَقُهُـــمْ مِـــنْ رَبِّهِـــمْ ... أينَمـــا راحـــوا وَســـاحوا فـــي دُنـــاهْ
يَقْتُلـــونَ البـــارَّ لا يَـــرْدَعُهُمْ ... عَـــنْ عَظـــيمِ الإثْـــمِ خَـــوفٌ مِـــنْ جَـــزاهْ
وَمُقـــيمُ العَـــدْلِ بـــارٌّ سَـــلِمَتْ ... وَتَنَقّـــتْ مِـــنْ دَمِ البـــارِّ يَـــداهْ
هـــا أنـــا أغْسُـــلُ بِالمـــاءِ يَـــدي ... فَاشْـــهَدوا أنّـــي بَـــريءٌ مِـــنْ دِمـــاهْ

***

هـــي ذي ســـاعةُ مـــوتي هاهيـــه ... أســـكتتْ ســـاعاتِ عمـــري الســـاهيه
ســـاعةٌ فـــي العمـــرِ مـــا مِـــن ســـاعةٍ ... غيرِهـــا آمـــرةٌ أوناهيـــه
نفضـــتْ عمـــراً بـــدأبٍ حُكتُـــه ... مـــن خيـــوطِ العنكبـــوتِ الواهيـــه
وأدالـــتْ دولـــةً عشـــتُ لهـــا ... ورمـــتْ ســـلطانَها فـــي داهيـــه
هيكـــل العمـــر الّـــدي عَمَّرْتُـــهُ ... راح أدراجَ الريـــاح اللاهيـــه
انتهـــى عمـــري كحلـــمٍ جفِلـــتْ ... منـــه أحـــلام المنـــام الزاهيـــه
لعنـــة الـــربّ حيـــاةٌ تنتهـــي ... قبـــل أن يعـــرفَ حـــيٌّ مـــا هيـــه

***

كنـــتُ حيّـــا ســـيّدي مـــن مولـــدي ... إنّمـــا ظلـــتْ حيـــاتي خاويـــه
رجـــمُ أحجـــارٍ حيـــاتي ســـيّدي ... لـــيس منهـــا حجـــرٌ للزاويـــه
ظـــلَّ يـــومي مثـــل أمســـي وغـــدي ... يشـــتهي قطـــرة مـــاء راويـــه
فـــي ميـــاهِ الأرضِ فـــي الظِّـــلِّ النَّـــدي ... ظمئـــتْ روحـــي وظلَّـــتْ ذاويـــه
قلـــتُ للأمطـــار: أنـــدي بـــرّدي ... حســـراتٍ كـــذئابٍ عاويـــه
كـــانَ ظُلْمـــاً ظالمـــاً عمـــري الـــرديّ ... كـــان غِيّـــاً وابـــنَ دنيـــا غاويـــه

هـــل لـــدى الغفـــران مـــاءٌ للصـــديّ ... خلـــف صـــحراءِ المنايـــا الطاويـــه؟
بميـــاه البحـــرِ غسّـــلتُ يـــدي ... وضـــميري فـــي دمـــاءٍ كاويـــه
أيّهـــا المصـــلوب ظلمـــاً بيـــدي ... انْتَشِـــلْ روحـــي التـــي فـــي الهاويـــه

***

أمْـــسِ كانَـــتْ لُعْبَتـــي قَطْـــعَ الرِّقـــابْ ... وَأذَلَّـــتْ وَطْـــأتي رَأْسَ العُبـــابْ
وَسَـــحَبْتُ الصّـــيدَ أسْـــرى مِثْلَمـــا ... يَسْـــحَبُ الإعْصـــارُ أطْبـــاقَ السَّـــحابْ
أمْـــسِ أذْلَلْـــتُ جِبـــالاً شَـــمَخَتْ ... بَعْـــدَ أنْ سَـــوَّيتُ بِـــالأرْضِ الهِضـــابْ
وَشَـــياطينُ يَهـــوذا دُسْـــتُهُمْ ... مِثْـــلَ نَمْـــلٍ فَـــوقَ قَمْـــلٍ وَذُبـــابْ

أمْسِ كانَتْ هَيبَتي مِلْءَ الدُّنى ... وَأنا في غُرْبَتي اليَومَ غُرابْ
كَغُبارٍ راحَ أمْسي وَغَدي ... قَدْ غَدا اليَومَ تَراباً في التُّرابْ
بَينَ داءٍ وَدَواءٍ جَسَدي ... جيفَةٌ بَينَ ذِئابٍ وَكِلابْ
الأطِبّا فَتَّشوا الكُتْبَ وَما ... وَجَدوا سِرَّ شِفائي في كِتابْ
الأطِبّاءُ مَعي بومُ الخَرابْ ... وَكَغُرْبانٍ مَعي كُلُّ الصِّحابْ
أنا عَطْشانٌ جَحيمٌ مُهْجَتي ... وَضَميري كُلُّ نيرانِ العَذابْ
أيُّها المَصْلوبُ بَلِّلْ شَفَتي ... بِنَدى الغُفْرانِ في يَومِ الحِسابْ
متَّ ما تُوِّجْتَ يَوماً قيصرا ... فالعنِ الدنيا ومُتْ والأعصُرا
إنَّ دنيا ملَكتْني ولها ... عشتُ حتّى صِرتُ منها عُنصرا
هيَ دنيا صَغُرَتْ عن أصبعٍ ... كان منّي خنصراً أو بُنصرا
يومَ أنْ شاركتُ عُمياً ظلمهمْ ... كانَ حكمُ العدلِ ألاّ أُبصِرا
ما سِوى العدلِ إلهاً حاكِماً ... آهِ لو لبّيتُ يومَ استنصرا
كان أَولى بيَ أن أُطلِقه ... وإنِ اغتاظوا وغاضوا القيصرا

***

لو عرفتُ الحقَّ ما ضلّلني ... فيلسوفٌ أو شريفٌ أو غنيّ
لو عرفتُ الحقَّ أمسى وطناً ... لغريبٍ ما لهُ من وطنِ
لو عرفتُ الحقَّ أضحى سكناً ... لفؤادٍ ما لهُ من سكنِ
لو عرفت الحقَّ أمسى كفناً ... لي ومزَّقتُ الردى في كفني
لو عرفتُ الحقَّ أمسى وثناً ... لي وما سبَّحتُ إلاّ وثني
لو عرفتُ الحقَّ أمسى زمناً ... أبدياً لي وولّى زمني
طيفُه يكفي ويشفي عَرْفُه ... نورُهُ أو نارُهُ ينصفني
أهْوَ ربٌّ عشتُ لا أعرفُه ... ولهذا اليومَ لا يعرفُني؟
أنا لو أدركتُه أطلقتُه ... فهو حرّاً مُطلَقاً يطلقني
لو عرفتُ الحقَّ ما علّقتُه ... في صليبٍ بين نذلٍ ودني

***

هل تجلّى الحقِّ في هذي الحياةْ ... أم تجلّى حينما حقَّ الممات
إنْ يكن هذي فحلمٌ في سُباتْ ... أو يكن هذا فمعناهُ الفواتْ
أهْوَ الحقُّ جنى داليةٍ ... عرَّشتْ أغصانها في السموات
أم تراه غاب في قلب النواة ... وهي ذابت في مياه الغمراتْ
أهْوَ العقل الّذي يهدي العقول ... فترى الحقَّ فَتغشى الظلماتْ

تـــــتملاّهُ علـــــى أرضِ الـــــذهول ... ثـــمَّ يغشـــاها نُعـــاسٌ وسُـــباتْ
كـــلٌّ مـــا قالتْـــه عنـــه أو تقـــول ... كلمـــاتٌ بكثيـــر مـــن لغـــاتْ
أيُهـــا العقـــل الإلهـــيُّ المهـــولْ ... أســـمِعَنّي كِلْمـــةً قبـــلَ الممـــاتْ
كلمـــةً تخلـــقُ عَقْـــلاً فـــي الجَهـــولْ ... وتُقـــيمُ المَيـــتَ فـــي نـــورِ الحيـــاةْ
أيُّهـــا الحـــقُّ اســـتجِبْ أنـــتَ الرجـــا ... لشـــقيٍّ فيـــه روحٌ تســـتجيبْ
أيُّهـــا العـــودُ الرطيـــبُ المُرتَجـــى ... بلّـــلِ الـــروحَ بمخضَـــلٍّ رطيـــب
أيُّهـــا المَرجُـــوُّ أدركْ مُهجتـــي ... فشـــقيٌّ أنـــا فـــي هـــذا اللهيـــب
يـــا طبيـــبَ الـــروحِ ضـــعْ فـــي شـــفتي ... قطـــرةً مـــن مائـــكَ المُحيـــي الســـكيب
لا تـــدعني أنطفـــي فـــي وحـــدتي ... جثّـــةً فـــي تربـــةِ المَـــوتِ الرهيـــب
لا تُســـلّمْني لمَـــوتي ولأمـــتْ ... معْـــك يحيينـــي مُحَيّـــاك الحبيـــب
أيُّهـــا المصـــلوبُ هبنـــي ميتـــةً ... مَعَـــكَ اليـــومَ علـــى عـــودِ صـــليب

***

شَـــعَّ مَجـــدُ اللهِ فـــي ليـــلٍ قَتـــامْ ... فاســـتنارتْ كـــلُّ أعمـــاقِ الظـــلامْ
كـــلُّ جنـــدِ الله هَلَّـــتْ هلَّلَـــتْ ... وَتَغنَّـــتْ فـــوقَ أطبـــاقِ الغمـــامْ
هلِّلـوا فـي الأرضِ يـا أهـل الرضـى ... وُلـد اليـومَ لكـم فـادي الأنـامْ
للعَلـــيِّ اللهِ مَجْـــدٌ فـــي العُـــلا ... وَعَلـــى الأرضِ ســـرورٌ وسَـــلامْ
هلّلويـــا طلَـــع الفجـــرُ الصـــبيحْ ... وامَّحـــى المـــوتُ مـــعَ الإثـــمِ القبـــيحْ
هَلِّلـوا فـي الأرضِ يـا أسـرى القبـورْ ... قـــد فـــداكمْ حَمَـــلُ اللهِ الّـــذبيحْ
هُـوَذا الّـدربُ إلـى الفـردوسِ نـورْ ... منـــذُ دَكَّ الـــربُّ أبـــوابَ الّضَـــريحْ
مثلمـا يـدخلُ فـي القلـبِ السـرورُ ... دخـــلَ اللـــصُ مـــعَ الفـــادي المســـيحْ

الفصل الثاني

أنـــا لا أعْـــرِفُ حَقّـــا أيَّ حَـــقْ ... يَجْمَـــعُ الأقْـــوامَ فـــي غَـــرْبٍ وَشَـــرْقْ
كُـــلُّ حَـــقٍّ عِنْـــدَ قَـــومٍ باطِـــلٌ ... عِنْـــدَ قَـــومٍ حَقُّـــهُ سَـــحْقٌ وَمَحْـــقْ
يُرْفَـــعُ السَّـــيفُ عَلـــى هامـــاتِهِمْ ... فَيَقولـــونَ عَـــنِ السَّـــيّافِ حَـــقْ
كُـــلُّ شَـــيءٍ رَغَّـــبَ الأهْـــواءَ أو ... أرْهَـــبَ الأحْيـــاءَ قـــالوا عَنْـــهُ: حَـــقْ
حَلَّـــوا مـــا حَرَّمـــوا وَانْتَهَكـــوا ... كُـــلَّ حَـــقٍّ بِاسْـــمِ حَـــقٍّ وَأحَـــقْ
أهْـوَ مـا قـالَ سُـلَيمانُ الّـذي قـالَ ... قَـــولاً حَسَـــناً فيـــهِ صَـــدَقْ:
قَـــبْضُ ريـــحٍ كُـــلُّ شَـــيءٍ باطِـــلٌ ... كُـــلُّ شَـــيءٍ باطِـــلٌ لا شَـــيءَ حَـــقْ"
إنْ تَكُـــنْ تَشْـــهَدُ لِلحَـــقِّ فَقُـــلْ ... مـــا هُـــوَ الحَـــقُّ أجِبْنـــي مـــا هُـــوَ الحَـــقْ؟

أنـــا لا أعْـــرِفُ فَرْقـــاً أيَّ فَـــرْقْ ... بَـينَ أهْـلِ الأرْضِ فـي غَـرْبٍ وَشَـرْقْ
مِـــنْ نَبِـــيٍّ لِغَبِـــيٍّ كُلُّهُـــمْ ... جُثَـــثٌ إكْرامُهـــا دَفْـــنٌ وَحَـــرْقْ
هُـــوَ حَـــقٌّ واحِـــدٌ أعْرِفُـــهُ ... حـــاكِمٌ بِالعَـــدْلِ بِـــالحُكْمِ أحَـــقْ:
هـــا هُـــمُ اليـــاهودُ أهْلـــوكَ قَضَـــوا ... أنْ يَـــرَوا فيـــكَ المَســـاميرَ تُـــدَقْ "
قَومُـــكَ اليـــاهودُ هـــا هُـــمْ كُلُّهُـــمْ ... يَصْـــرَخون "اصْـــلُبْهُ" فـــي رَعْـــدٍ وَبَـــرْقْ
وَأنـــا الرّومِـــيُّ أحْميـــكَ وَلـــي ... سُـــلْطَةٌ أنْ أصْـــلُبَ البـــارَّ بِحَـــقْ
وَأنـــا السُّـــلْطانُ أقْضـــي عـــادلاً ... وَقُضـــاةُ الظُّلْـــمْ هُـــمْ قَمْـــلٌ وَبَـــقْ
أأنـــا العـــادلُ أمْ قومُـــكَ؟ قُـــلْ ... مـــا هُـــوَ الحَـــقُّ أجِبْنـــي مـــا هُـــوَ الحَـــقْ؟
هـــا شُـــيوخُ القَـــومِ وَالشَّـــيخُ الإمـــامْ ... كُـــلَّ يَـــومٍ فـــي صَـــلاةٍ وَصِـــيامْ:
قومُـــكَ الأحْبـــارُ دَومـــاً فـــي خِصـــامْ ... وَجِـــدالٍ عَـــنْ حَـــلالٍ وَحَـــرامْ "
جِـــزْبُ صِـــدّيقينَ كَـــذّابينَ فـــي ... وَجْـــهِ فِرّيســـينَ نَجّيســـينَ قـــامْ
إنَّهُـــمْ حِزْبـــانِ جِـــزْبٌ قائـــلٌ: ... لَـــيسَ بَعْـــدَ المَـــوتِ لِلمَيـــتِ قِيـــامْ
كُـــلُّ حَـــيٍّ يَأْكُـــلُ اليَـــومَ الطَّعـــامْ ... هُـــوَ يَـــومَ الغَـــدِ لِلـــدّودِ طَعـــامْ
إنَّمـــا الأنْفُـــسُ أنْفـــاسٌ إذا ... مـــا تَلاشَـــتْ فَعَلـــى الـــدُّنْيا السَّـــلامْ
ذاكَ حَـــقٌّ وَسِـــواهُ باطِـــلٌ ... وَكَـــلامٌ فـــي كَـــلامٍ فـــي كَـــلامْ
وَيَـــرُدُّ الخَصْـــمُ: لا المَـــوتُ مَنـــامْ ... وَيَقـــومُ المَيـــتُ مِـــنْ هـــذا المَنـــامْ
تَخْـــرُجُ الـــرّوحُ إلـــى بارِئِهـــا ... وَتُجـــازى عَـــنْ حَـــلالٍ وَحَـــرامْ
كُـــلُّ بـــارٍّ روحُـــهُ تَرْتـــاحُ فـــي ... حُضْـــنِ إبْـــراهيمَ جَـــذْلى بِـــالمَرامْ "
وَأثـــيمُ الـــرّوحِ لا يَرْتـــاحُ بَـــلْ ... فـــي اشْـــتِهاءِ الإثْـــمِ يُضْـــنيهِ الضِّـــرامْ
لا يُنَجّـــي المَـــوتُ شِـــرّيراً وَلا ... يَمْنَـــعُ الأبْـــرارَ أجْـــراً فـــي الخِتـــامْ
لا يَعـــوقُ المَـــوتُ عَـــدْلَ اللهِ عَـــنْ ... أنْ يُجـــازي عَـــنْ حَـــلالٍ وَحَـــرامْ
إنَّ كُـــلَّ حِـــزْبٍ يَـــدَّعي الحَـــقَّ فَقُـــلْ ... مـــا هُـــوَ الحَـــقُّ أجِبْنـــي مـــا هُـــوَ الحَـــقْ؟
قُـــلْ أجِبْنـــي أيُّهـــا البـــارُّ السَّـــكوتْ ... قَبْـــلَ أنْ أُقْبَـــرَ فـــي أرْضِ السُّـــكوتْ
قُـــلْ أجِبْنـــي أيُّهـــا البـــارُّ السَّـــكوتْ ... قَبْـــلَ أنْ ألفُـــظَ روحـــي وَأمـــوتْ "
إنْ تَكُـــنْ حَقّـــا مَســـيحاً مَلِكـــاً ... أفَتـــاجُ الشَّـــوكِ مَجْـــدُ المَلَكـــوتْ؟
قُـــلْ أجِبْنـــي كَيـــفَ مَصْـــلوباً تَمـــوتْ ... وَأبـــوكَ اللهُ رَبُّ الصَّـــبؤوتْ
أرَأيـــتَ المَـــوتَ مـــاءً ســـائغاً ... أمْ تَـــرى شَـــوكَتَهُ حَبَّـــةَ تـــوتْ
أمْ تَظُـــنُّ المَـــوتَ إنْ لاقَيتَـــهُ ... تَحْـــتَ رِجْلَيـــكَ سَـــيُلْقى وَيَمـــوتْ؟
إنْ تَكُـــنْ تَعْـــرِفُ مـــا الحَـــقُّ فَقُـــلْ ... مـــا هُـــوَ الحَـــقُّ أجِبْنـــي مـــا هُـــوَ الحَـــقْ؟

يولَـــدُ المَـــرْءُ وَيَحْيـــا وَيَمـــوتْ ... وَكَمَـــوتِ المَـــرْءِ مَـــوتُ العَنْكَبـــوتْ
كُـلُّ مـا يَعْطُـسُ فـي الأرْضِ يَمـوتْ ... مِثْلَمـا يَفْطُـسُ طَـيَّ البَحْـرِ حـوتْ
يُكْـــرَمُ السُّـــلْطانُ فـــي تابوتِـــهِ ... وَهْـوَ فـي التّـابوتِ لِلدّيـدانِ قـوتْ "
إنَّـــهُ المَـــوتُ إلـــهُ بـــاطِشٌ ... فـاحِشٌ عـاتٍ عَظـيمُ الجَبَـروتْ
إنَّـــهُ الأبْطَـــشُ وَالأفْحَـــشُ بَـــلْ ... إنَّـــهُ الأقْـــبَحُ مِـــنْ شَـــرِّ النَّعـــوتْ
أخَـــلاصٌ مِـــنْ نُيـــوبِ المَـــوتِ قُـــلْ ... مـا هُـوَ الحَـقُّ أجِبْنـي مـا هُـوَ الحَـقْ؟
قـــالَ لـــي: "هـــا أنَـــذا" عِنْـــدَ مَنـــامي ... وَأرانـــي وَجْهَـــهُ عِنْـــدَ قِيـــامي
نَجِـــسٌ أبْغَضْـــتُهُ مِـــنْ مَولِـــدي ... وَأراهُ كُـــلَّ أيّـــامي أمـــامي "
يَسْـــرِقُ الأصْـــحابَ وَالأحبـــابَ ... هـــذا الحَرامِـــيُّ الـــزَّنيمُ ابْـــنُ الحَـــرامِ
فـــي الحَيـــاةِ المَـــوتُ دَومـــاً حَيَّـــةٌ ... سَـــمَّمَتْ كُـــلَّ مُـــدامٍ وَإدامِ
قَسَـــماً لَـــو صِـــرْتُ رَبَّـــا ســـاعَةً ... لَسَـــحَقْتُ المَـــوتَ سَـــحْقاً بِالصَّـــرامي
طَلَـبَ الأحْبـارُ أنْ أحْـرُسَ قَبْـرَكْ بَعْـدَ أنْ ... أنْهـــى صَـــليبُ المَـــوتِ عُمْـــرَكْ
قيـــلَ لـــي: إنَّـــكَ قَـــدْ أقْنَعْـــتَ قَومَـــكْ ... أنَّ حَيـــلَ المَـــوتِ قَـــدْ أشْـــبَهَ نَومَـــكْ
قيـــلَ لـــي: إنَّـــكَ قَـــدْ قُلْـــتَ لَهُـــمْ ... بَعْـــدَ أيّـــامِ ثَـــلاثٍ سَـــأقومْ "
آمِنـــوا بـــي الأرْضُ تَمْضـــي وَالسَّـــما ... وَكَلامـــي أبَـــدَ الـــدَّهْرِ يَـــدومْ
أصَـــحيحٌ مـــا رَوَوهُ عَنْـــكَ قُـــلْ ... مـا هُـوَ الحَـقُّ أجِبْنـي مـا هُـوَ الحَـقْ؟
مِـــنْ مَلايـــينِ مَلايـــينِ الـــذَّواتْ ... لا يُضـــــــاهي أيُّ ذاتٍ أيَّ ذاتْ
لا يُضـــــاهي تَـــوأمٌ تَوأمَـــهُ ... لَـــو تَسـاوَتْ قَسَـماتٌ وَصِـفاتْ
كُـــلُّ ذاتٍ آيَـــةٌ مُعْجِـــزَةٌ ... وَلَهـا تَسْـجُدُ سَـبْعُ المُعْجِـزاتْ
كُـــلُّ ذاتٍ جـــاءَتِ الـــدُّنْيا تَـــرى ... أنَّهـا الـدُّنْيا بِكُـلِّ الكائنـاتْ
تَمْلُـــكُ الـــدُّنْيا وَمـــا فيهـــا وَلا ... تَنْقَضـــي حاجاتُهـــا وَالرَّغَبـــاتْ
وَتَـــرى فـــي كُـــلِّ حُلْـــمٍ أنَّهـــا ... رَكَّبَـــتْ أجْنِحَـــةً لِلمَرْكَبـــاتْ
كُلَّمـــا عايَنَـــتِ النَّسْـــرَ اشْـــتَهَتْ ... أنَّهـا كَالنَّسْـرِ تَغْشـى السَّـمَواتْ
كُـــلَّ لَيـــلٍ تَشْـــتَهي لَـــو قَطَفَـــتْ ... كَعَناقيـــدِ الكُـــرومِ النَّجَمـــاتْ
يَنْـــزِلُ المَـــوتُ كَلِـــصٍّ بَغْتَـــةً ... فَـــإذا مَـــنْ كانَـــتِ الـــدُّنْيا رُفـــاتْ
كَ وَيَقولُ الحَـيُّ: لِلحَـيِّ البَقا ُ لُّ ذاتٍ جاءَتِ ... فَيُجيـــبُ المَـــوتُ هَمْســـاً كُـــلَّ ذاتْ:
كُـــلُّ ذاتٍ حَيَّـــةٍ مـــا امْتَلَكَـــتْ ... نَفَســـاً تَنْفُخُـــهُ فيهـــا الحَيـــاةْ

أيُّهـــا الحَـــيُّ الَّـــذي مِنْـــهُ الحَيـــاةْ ... مـــا لِـــدودِ المَـــوتِ أعْطَيـــتَ الحَيـــاةْ
بِـــلْ لِـــنَفْسٍ أُبْـــدِعَتْ مِـــنْ نَفَـــسٍ ... أبَـــدِيّ الحُـــبِّ يُحْيـــي كُـــلَّ ذاتْ
إنَّمـــا المَـــوتُ هُـــوَ الإثْـــمُ الَّـــذي ... سَـــلَّمَ البـــارَّ إلـــى أيـــدي الخُطـــاةْ
إنَّ قَهْـــــرَ المَـــــوتِ إعْجـــــازٌ ... وَلكِنَّـــــهُ الغُفْـــــرانُ أمُّ المُعْجِـــــزاتْ
أيُّهـــا المُنْـــزِلُ غُفْـــرانَ السَّـــما ... لِعُـــــداةٍ صَـــــلَبوهُ وَعُتـــــاةْ
قَبْـــلَ أنْ نَكَّـــسَ مَيتـــاً رَأْسَـــهُ ... نَكَّـــسَ المَـــوتُ لَـــهُ الـــرَّأْسَ وَمـــاتْ
غَيـــرَ غُفْرانِـــكَ مـــا لـــي طَلَـــبٌ ... إنَّ غُفْرانَـــكَ إكْســـيرُ الحَيـــاةْ

أيُّهـــا المَصْـــلوبُ يـــا أقْـــدَسَ هامَـــه ... بَلَغَتْنـــي كُـــلُّ أخْبـــارِ القِيامَـــه
قَيـــلَ لـــي قَـــدْ قُمْـــتَ حَقَّـــا وَرَآكَ ... ورآك تلاميـــذك حيـــاً فـــي ســـلامه
قيـــلَ: عَظْـــمٌ لَـــكَ لَـــمْ يُكْسَـــرْ كَمـــا ... شِـــئْتَ إذْ كَسَّـــرْتَ لِلمَـــوتِ عِظامَـــه
كُـــلُّ آتٍ عارِفـــاً كُنْـــتَ بِـــهِ ... كَبَصـــيرٍ يُبْصِـــرُ الـــدَّرْبَ أمامَـــه
كَلَّـــمُ القُـــدّوسُ عَنْـــكَ الأنْبِيـــا ... وَبِأقْصـــى الحُـــبِّ تَمَّمْـــتَ كَلامَـــه
قيـــلَ لـــي: ســـامَحْتَ لَـــمْ تُلْـــقِ عَلـــى ... صـــالِبِيكَ الـــذَّنْبَ أو بَعْـــضَ مَلامَـــه
وَأنـــا الصّـــالِبُ هَـــلْ ســـامَحْتَني ... هِـــيَ ذي نَفْســـي وَأنْفاســـي نَدامَـــه
قيـــلَ لـــي: مُـــتَّ لِكَـــي تَفْـــدي الـــوَرى ... أيُّ حُـــبٍّ وَسُـــمُوٍّ وَشَـــهامَه
قيـــلَ لـــي: قُمْـــتَ مِـــنَ الأمْـــواتِ كَـــي ... تَمْـــنَحَ المَـــوتى حَيـــاةً وَكَرامَـــه
قيـــلَ لـــي: قُلْـــتُ: الَّـــذي يُـــؤمِنُ بِـــي ... فِـــيَّ يَحْيـــا وَأنـــا فيـــهِ القِيامَـــه
أيُّهـــا المَصْـــلوبُ هَـــلْ أنْـــتَ القِيامَـــه؟ ... أوَحَـــقٌّ هُـــوَ هـــذا أمْ غَمامَـــه؟
إنْ يَكُـــنْ حَقَّـــا فَكُـــلُّ العِلْـــمِ وَالفَـــنِّ ... مِـــنْ دونِـــكَ جَهْـــلٌ وَدَمامَـــه
إنْ يَكُـــنْ حَقَّـــا إلهِيَّـــا فَمِـــنْ ... دونِـــكَ الـــدُّنْيا وَمـــا فيهـــا قُمامَـــه
أيُّهـــا المَصْـــلوبُ يـــا أشْـــرَفَ هامَـــه ... فـــي تُـــرابِ المَـــوتِ رَأْســـي كَالنَّعامَـــه
إنْ تَكُـــنْ فـــادِيَّ فَـــارْفَعْني وَقُـــلْ ... مـــا هُـــوَ الحَـــقُّ أجِبْنـــي مـــا هُـــوَ الحَـــقْ؟
هُـــوَذا الأرْضُ وَأطْبـــاقُ الغَمـــامْ ... كَتَلاميـــذِكَ غَنَّـــتْ قـــامَ قـــامْ
هـــا يُغَنّـــونَ يَقولـــونَ: جَـــلا ... الحـــق وجـــه المـــوت عـــن وجـــه الأنـــامْ
وَأنـــا يَلْعَـــبُ بـــي المَـــوتُ كَمـــا ... يَلْعَـــبُ الكَلْـــبُ بِمَنْبـــوذِ العِظـــامْ
أيُّ حَـــقٍّ كـــانَ عُمْـــري؟ هُـــوذا ... يَتَلاشـــي مِثْـــلَ حُلْـــمٍ فـــي المَنـــامْ
كُـــلُّ حَـــيٍّ لِلفَنـــا حَتّـــى أنـــا ... وَالسَّـــلاطينُ جَميعـــاً كَـــالهَوامْ
كُـــلُّ حَـــقّ زائـــلٍ بَـــقٌّ وَإنْ ... دامَ حَقَّـــا راسِـــخاً مَلْيـــونَ عـــامْ
إنْ تَكُـــنْ قُمْـــتَ مِـــنَ المَـــوتِ فَهَـــلْ ... أنـــا أيضـــاً بَعْـــدَ مَـــوتي سَـــأُقامْ؟

إنْ تَكُــنْ قَــدْ قُمْــتَ فَــاظْهَرْ لــي وَقُــلْ ... مــا هُــوَ الحَــقُّ أجِبْنــي مــا هُــوَ الحَــقْ

***

مـــا هُـــوَ الحَـــقُّ ألـــي أنْ أُخْبَـــرا؟ ... أهْـــوَ أنْ تَكْـــتُمَ أمْ أنْ تَجْهَـــرا؟
أهْـــوَ أنْ تَقْتُـــلَ أو تُقْتَـــلَ أمْ ... هُـــوَ أنْ تَنْحَـــرَ أو تَنْتَحِـــرا؟
أمْ هُـــوَ السَّـــيفُ الَّـــذي أفْنـــى الـــوَرى ... أمْ هُـــوَ الغُفْـــرانُ حَتّـــى تُنْحَـــرا؟
هَـلْ هُـوَ الـدَّهْرُ الَّـذي يَأْكُـلُ أبْنـاءَهُ ... مِـــنْ يَـــومِ أنْ كـــانَ الـــوَرى؟
أمْ هُـــوَ الأجْـــدادُ مِمَّـــنْ بـــاعَهُمْ ... بِـــالتُّرابِ المَـــوتُ وَالـــدّودُ اشْـــتَرى؟
أهْـــوَ إفْنـــاءُ امْـــرِئٍ أفْنـــى امْـــرَأً ... أمْ فَنـــا مُفْنـــي بِـــلادٍ وَقُـــرى؟
أمْ هُـــوَ الشَّـــرْعُ الَّـــذي سَـــطَّرَهُ ... بِالـــدِّماءِ السَّـــيفُ أنّـــى سَـــيطَرا؟
هَـــلْ هُـــوَ العَـــدْلُ الَّـــذي لَـــمْ يَتَّحِـــذْ ... فيـــهِ أيُّ اثْنَـــينِ مِـــنْ بَـــدْءِ الـــوَرى؟
أمْ هُـــوَ البَنْـــدُ الَّـــذي يَرْفَعُـــهُ ... غـــازٍ فـــي الـــوَغى كَـــي يَظْفَـــرا؟
هَـــلْ هُـــوَ النَّقْـــدُ الَّـــذي ســـابِكُهُ ... غـــانِمٌ فـــي كُـــلِّ بَيـــعٍ وَشِـــرا؟
هَـــلْ هُـــوَ الحَـــقُّ إلـــهٌ لا يُـــرى ... أمْ هُـــوَ الحَـــقُّ إلـــهٌ لا يَـــرى؟
هَـــلْ هُـــوَ الـــرَّبُّ الَّـــذي صَـــوَّرَهُ ... كُـــلُّ حَـــيٍّ مِثْلَـــهُ إذْ صَـــوَّرا؟
أمْ هُـــوَ الـــرَّبُّ الَّـــذي كَرْمـــى لَـــهُ ... يَصْـــلُبُ القَـــومُ المَســـيحَ الأطْهَـــرا؟
هَـــلْ هُـــوَ الـــرَّبُّ الَّـــذي تَعْرِفُـــهُ؟ ... أنـــا لا أعْـــرِفُ إلاّ قَيصَـــرا؟
أهْـــوَ مـــا لا أبْصَـــرَتْ عَـــينٌ وَلا ... سَـــمِعَتْ أُذْنٌ وَلا عَقْـــلٌ دَرى؟
مـــا هُـــوَ الحَـــقُّ الَّـــذي لـــي فـــي غَـــدي ... غَيـــرَ أنْ أُحْـــرَقَ أو أنْ أُقْبَـــرا؟
أيُّ حَـــقٍّ أزَلِـــيٍّ أبَـــديّ ... هُـــوَ بُشْـــرى بِخَـــلاصٍ لِلـــوَرى؟
أنـــا أعْمـــى سَـــيِّدي مِـــنْ مَولِـــدي ... لَـــمْ أجِـــدْ لِلحَـــقِّ يَومـــاً مَنْظَـــرا
كُـــلُّ مـــا أطْلُبُـــهُ يـــا سَـــيِّدي ... أنْ أرى الحَـــقَّ جَلِيَّـــا أنْ أرى
إنْ تَكُـــنْ تَشْـــهَدُ لِلحَـــقِّ فَقُـــلْ ... مـــا هُـــوَ الحَـــقُّ أجِبْنـــي مـــا هُـــوَ الحَـــقْ؟
مُنْـــذُ أنْ سَـــلَّمْتُ لِلصَّـــلْبِ التَّقِيّـــا ... وَتَبَـــرَّأْتُ وَغَسَّـــلْتُ يَـــدِيّا
مُنْـــذُ أنْ صـــاحوا إذا أطْلَقْتَـــهُ ... لَسْـــتَ لِلقَيصَـــرِ مَولانـــا وَفِيّـــا
مُنْـــذُ ذاكَ اليَـــومِ مِـــنْ عُمْـــري إلـــى ... أنْ بَلَغْـــتُ اليَـــومَ مِـــنْ عُمْـــري عِتِيّـــا
مُنْـــذُ سَـــلَّمْتُ البَـــريءَ البـــارَّ لِلصَّـــلْبِ ... أصْـــبَحْتُ شَـــقِيًّا بَرْبَرِيّـــا
مُنْـــذُ ذاكَ اليَـــومِ حَتّـــى اليَـــومِ مـــا ... مُنْـــذُ ذاكَ اليَـــومِ حَتّـــى اليَـــومِ مـــا
كُلَّمـــا اسْـــتَغْرَقْتُ فـــي نَـــومٍ صَـــحا ... لـــي ضَـــميرٌ مِثْـــلُ تـــاجِ الشَّـــوكِ فِيّـــا
وَأرى الـــرُّمْحَ الَّـــذي فـــي جَنْبِـــهِ ... مِنْـــهُ يَجْـــري دَمُـــهُ حـــارًّا نَـــدِيّا
وَأرى كُـــلَّ المَســـاميرِ الَّتـــي ... سَـــمَّرَتْهُ بِـــدَمٍ تَبْكـــي عَلَيّـــا

وَأرى الحُلْـــــمَ ثَقـــيلاً ســـــاحِقاً ... وَأرى الحُلْـــــمَ طَـــــويلاً أبَـــــدِيّا
وَأرى فـــي الحُلْـــمِ دَومـــاً أبَـــداً ... أنَّنـــي أُسْـــلِمُ لِلصَّـــلْبِ الزَّكِيّـــا
وَأنـــا أغْسُـــلُ بِالمـــاءِ يَـــدِيّا ... وَيَظَـــلُّ الـــدَّمُ يَجْـــري مِـــنْ يَـــدِيّا
غَيـــرَ غُفْرانِـــكَ لا يُبْرِؤنـــي ... أيُّهـــا البـــارُّ الَّـــذي يُـــدْعى المَسِـــيّا
واحـــدٌ فـــي الكـــونِ مَـــنْ يَغْفِـــرُ لـــي ... هُـــوَ مَصْـــلوبٌ دَمـــاً يَبْكـــي عَلَيّـــا

***

بَعْـــدَ مـــا قـــالَ وَمـــا خَلّـــى المَقـــالْ ... هُـــوَ مـــا لا طـــالَ عَقْـــلٌ أو خَيـــالْ
فَـــوقَ مـــا تَسْـــمو السَّـــماواتُ سَـــما ... فـــي كَمـــالٍ وَجَمـــالٍ وَجَـــلالْ
مُنْـــذُ بَـــدْءِ الكَـــونِ بـــاقٍ وَحْـــدَهُ ... غايَـــةً عاصِـــيَةً دونَ المَنـــالْ
أهْـــوَ رَبٌّ قائـــلٌ كِلْمَتَـــهُ ... أمْ سَـــيَبْقى أبَـــداً مـــا لا يُقـــالْ؟
واحـــدٌ فـــي الكـــونِ مَـــنْ يَغْفِـــرُ لـــي ... هُـــوَ مَصْـــلوبٌ دَمـــاً يَبْكـــي عَلَيّـــا
كُـــلُّ سُـــؤْلِ العَقْـــلِ فـــي هـــذا السُّـــؤال ... مـــا هُـــوَ الحَـــقُّ أجِبْنـــي مـــا هُـــوَ الحَـــقْ؟

***

مـــا هُـــوَ الحَـــقُّ الَّـــذي فيـــهِ الحَيـــاةْ ... وَطَريـــقُ الحَـــقِّ فـــي أيِّ الجَهـــاتْ؟
أنَعـــــيمٌ مَلَكَتْـــــهُ أُمَّـــــةٌ ... وَجَحـــيمٌ فيـــهِ بـــاقي الكائنـــاتْ؟
أحَيـــــاةٌ هُـــــوَ لِلأمْـــــواتِ أمْ ... هُـــوَ لِلأحْيـــاءِ لَعْـــنٌ فـــي الصَّـــلاة؟
أحِـــــرابٌ وَخَـــــرابٌ وَدمٌ؟ ... أمْ وِئـــــامٌ وَسَـــــلامٌ وَحَيـــــاةْ؟
أهُـــوَ الـــبُغْضُ وَصَـــبُّ اللَّعَنـــاتْ؟ ... أمْ هُـــوَ الحُـــبُّ وَمَـــنْحُ البَرَكـــاتْ؟

***

فـــي السَّـــما أنْـــتَ إلـــهٌ وَأنـــا ... فـــي الـــدُّنى مَأكَـــلُ ديـــدانِ الفَنـــا
فـــي خُلـــودِ اللهِ تَحْيـــا وَأنـــا ... خَلَـــدٌ فـــي جِحْـــرِهِ قَـــدْ أنْتَنـــا
مَلِـــكٌ أنْـــتَ أرى دُنْيـــا الفَنـــا ... مَلَكـــوتَ اللهِ مَجْـــداً وَهَنـــا
مُنْـــذُ ســـامَحْتَ الأثـــيمَ ... الأرْعَنـــا ظَهَـــرَ اللهُ أبـــاً فـــي ذي الـــدُّنى
أنْـــتَ بَـــرَّرْتَ وَأعْطَيـــتَ المُنـــى ... كُـــلَّ جـــانٍ تائـــبٍ عَمّـــا جَنـــى
جَـــلَّ غُفْرانُـــكَ أنْ يَغْشـــى الـــدُّنى ... دونَ أنْ يَنْســـى امْـــرَأً إلاّ أنـــا

***

كنـــتُ فـــي أمـــسِ أنـــا القاضـــي الحَكَـــمْ ... وَالمَســـيحُ الـــرَّبُّ عِنْـــدي المُـــتَّهَمْ
أمْـــسِ فـــي مَحْكَمَتـــي كـــانَ اليَهـــودْ ... يَرْجِمـــونَ البـــارَّ عِنْـــدي بِـــالتُّهَمْ
أمْـــسِ فـــي مَحْكَمَتـــي سِـــرُّ الوُجـــودْ ... قـــامَ كَـــي يُحْكَـــمَ مِـــنْ دودِ العَـــدَمْ
هـــا أنـــا تَتْبُـــذُني نَفْســـي كَعـــودْ ... تَـــنْهَشُ الديـــدانُ فيـــهِ وَالنَّـــدَمْ

لَـــو يَعـــودُ الأمْـــسُ وَالعَـــدْلُ يَعـــودْ ... لِقَضـــــائي وَالمَســـــيحُ المُـــــتَّهَمْ
قُلْـــتُ: هـــذا البـــارُّ إكْســـيرُ الخُلـــودْ ... لِلبَرايـــــا مِـــــنْ يَهـــــودٍ وَأُمَـــــمْ

***

أيُّهـــا البـــارُّ أمِـــلْ لـــي مَسْـــمَعَكْ ... أُعْـــفُ عَنّـــي ظالِمـــاً كُنْـــتُ مَعَـــكْ
نَـــدَمٌ كَـــالجَمْرِ يَكْـــوي أظْلُعـــي ... مُنْـــذُ أنْ حَطَّـــمَ ظُلْمـــي أظْلُعَـــكْ
لَيتَنـــي لاقَيـــتُ ظُلْمـــاً مَصْـــرَعي ... قَبْـــلَ أنْ تَلْقـــى بِظُلْمـــي مَصْـــرَعَكْ
لَيتَنـــي مِـــنْ يَـــومِ أنْ كُنْـــتَ مَعـــي ... مُـــتُّ مِثْـــلَ اللِّـــصّ مَصْـــلوباً مَعَـــكْ

***

وَتَرَجَّيتُـــــــــكَ أنْ تَـــــــــذْكُرَني ... يـــوم تـــأتي ملكـــاً كـــي أتبعـــك
إنَّـــــهُ المَـــوتُ الَّـــذي ذَكَّرَنـــي ... قـــائلاً لـــي: قَيصَـــرٌ لَـــنْ يَنْفَعَـــكْ
سَـــيِّدي قُـــلْ لـــي وَأطْـــرِبْ مَسْـــمَعي ... بِالَّـــذي قُلْـــتُ لِلِـــصّ سَـــمِعَكْ
سَـــتَكونُ اليَـــومَ فـــي الخُلْـــدِ مَعـــي ... وَأنـــا فيـــهِ مَـــدى الـــدَّهْرِ مَعَـــكْ

***

هُـــوَ أعْطـــى القَلْـــبَ مِـــلْءَ القَلْـــبِ رَبَّـــهْ ... وَبِمِـــلْءِ القَلْـــبِ كـــانَ الـــرَّبُّ قَلْبَـــهْ
هُـــوَ مَـــنْ سَـــرَّ أبـــاهُ الحَـــيَّ رَبَّـــهُ ... وَسُـــرورُ الـــرَّبِّ فيـــهِ سَـــرَّ شَـــعْبَهْ
هُـــوَ رَبٌّ ذلِـــكَ الحُـــبُّ الَّـــذي يَمْـــنَحُ ... الغُفْـــرانَ مَـــنْ يَطْعَـــنُ جَنْبَـــهْ
ذو جَمـــــالٍ وَجَـــــلالٍ يَشْـــــتَهي ... فـــي يَدَيـــهِ الحَـــيُّ أنْ يَقْضِـــيَ نَحْبَـــهْ
كُـــلُّ أرْضٍ وَسَـــما كُـــلُّ فَـــمٍ ... بِاسْـــمِهِ يِشْـــدو وَتَجْثـــو كُـــلُّ رُكْبَـــه
وَأنـــا الصّـــالِبُ مـــا لـــي عَمَـــلٌ ... غَيـــرَ أنْ أطْلُـــبَ حَتّـــى المَـــوتِ حُبَّـــهْ
لِلفَنـــا الـــدُّنْيا وَيَحْيـــا أبَـــداً ... كُـــلُّ قَلْـــبٍ دينُـــهُ اللهُ مَحَبَّـــه

***

أنْـــتَ قَـــدْ أعْطَيـــتَ كُـــلَّ القَلْـــبِ رَبَّـــكْ ... وَبِمِـــلء الحُـــبِّ كـــانَ الـــرَّبِّ قَلبَـــك
مِثلَمـــا أحبَبـــتَ حَتّـــى المَـــوتِ رَبَّـــك ... هكَـــذا أحبَبـــتَ حَتّـــى المَـــوتِ شَـــعبَك
أيُّ حُـــبٍّ هُـــوَ يـــا سَـــيِّدُ أنْ ... تَمْـــنَحَ الغُفـــرانَ مَـــنْ يَطْعَـــنُ جَنْبَـــكْ
بِسَـــلامِ اللهِ أفْرَحْـــتَ الـــوَرى ... وَعَلـــى البَغْضـــاءِ قَـــدْ أشْـــعَلْتَ حَرْبَـــكْ
أنْـــتَ حُـــبُّ اللهِ فـــي الـــدُّنْيا وَمـــا ... عَـــرَفَ الحُـــبَّ امْـــرُؤٌ يَجْهَـــلُ دَرْبَـــكْ
وَأنـــا الصـــالِبُ مـــا لـــي عَمَـــلٌ ... غَيـــرَ أنْ أطْلُـــبَ حَتّـــى المَـــوتِ حُبَّـــكْ
لَـــمْ تَقُـــلْ لـــي مـــا هُـــوَ الحَـــقُّ فَقُـــلْ ... مـــا هُـــوَ الحُـــبُّ وَهَبْنـــي أنْ أُحِبَّـــكْ

الخاتمة

ذاتَ يَـــومٍ نَـــدِمَ الـــوالي النَّبيـــهْ ... وَصَـــحا فيـــهِ ضَـــميرٌ صـــاحَ فيـــهْ:
أيُّهـــا الـــوالي العِصـــامِيُّ الوَجيـــهْ ... اُصْـــحُ وَانْظُـــرْ أيَّ عـــارٍ أنْـــتَ فيـــهْ
أنْـــتَ فـــي الباطِـــلِ مَقْبـــورٌ فَقُـــلْ: ... أيَّ حَـــقّ يـــا مُرائـــي تَبْتَغيـــهْ
زانَـــكَ الحَـــقُّ ثَقـــيلاً فَـــإذا ... أنْـــتَ كَالطـــاووسِ بِـــالرّيشِ يَتيـــهْ
أنْـــتَ لَـــمْ تَحْكُـــمْ بِحَـــقٍّ حاكِمـــاً ... بَـــلْ صَـــلَبْتَ البـــارَّ أطْلَقْـــتَ السَّـــفيهْ
قـــاتِلاً أطْلَقْـــتَ حُـــرًّا صـــالِباً ... شـــاهِدَ الحَـــقِّ الإلهـــيِّ النَّزيـــهْ
خَنَـــقَ الوَغْـــدُ يَهـــوذا نَفْسَـــهُ ... وَهْـــوَ مَيتـــاً كُـــلُّ حَـــيٍّ يَزْدَريـــهْ
وَأرى أنَّـــكَ حَـــيٌّ فَـــاعْتَرِفْ ... عَـــفَّ عَنْـــكَ المَـــوتُ لاشْـــمِئزازِ فيـــهْ

***

وَبَكَـى الحَـزينُ دَمـاً وَأوغَـلَ فـي النَّحيـبْ ... وَالشَّـمْسُ شَـمْسُ العُمْـرِ تَـأذَنُ بِالمَغيـبْ
وَرَأى كَمـــا فـــي الحُلْـــمِ رَبًّـــا رائعـــاً ... يَحْنـــو وَيمْسَـــحُ دَمْـــعَ عَينَيـــهِ السَّـــكيبْ
وَتَكَلَّـــمَ الـــرَّبُّ الحَنـــونَ مُرَنِّمـــاً ... إنّـــي أُحِبُّـــكَ يـــا أخـــي الغـــالي الحَبيـــبْ
بَعْـــدَ المَشـــيبِ تُحِبُّنـــي وَأنـــا الَّـــذي ... قَلْبـــي يَضُـــمُّكَ قَبْـــلَ أُمِّـــكَ يـــا حَبيـــبْ
أتَقـــولُ مـــا مَعْنـــى أُحِبُّـــكَ يـــا حَبيـــبْ ... أُحِبُّـــكَ فـــي السَّـــما سِـــرٌّ رَهيـــبْ
مَعْنـــى أُحِبُّـــكَ لَـــيسَ فـــي شِـــعْرِ الغَـــزَلْ ... هُـــوَ لَـــيسَ مـــا قـــالَ الأديـــبُ وَلا الخَطيـــبْ
الحُـــبُّ سِـــرٌّ غائـــبٌ مُنْـــذُ الأزَلْ ... الـــرَّبُّ يَكْشِـــفُ سِـــرَّهُ لَـــكَ يـــا حَبيـــبْ
الحُـــبُّ يَعْلـــو فَـــوقَ أجْنِحَـــةِ الخَيـــالْ ... وَعَلـى الكَواكِـبِ فـي مَـدى الكَـونِ الرَّحيـبْ
الحُـــبُّ نـــورٌ صـــانَهُ رَبُّ الجَـــلالْ ... وَسَـــخا عَلـــى الأبْـــرارِ بِـــالنّورِ العَجيـــبْ
بَعْـــدَ المَشـــيبِ تُحِبُّنـــي وَأنـــا الَّـــذي ... قَلْبـــي يَضُـــمُّكَ قَبْـــلَ أُمِّـــكَ يـــا حَبيـــبْ
أتَقـــولُ مـــا مَعْنـــى أُحِبُّـــكَ يـــا حَبيـــبْ ... أُحِبُّـــكَ فـــي السَّـــما سِـــرٌّ رَهيـــبْ
مَعْنـــى أُحِبُّـــكَ لَـــيسَ فـــي شِـــعْرِ الغَـــزَلْ ... هُـــوَ لَـــيسَ مـــا قـــالَ الأديـــبُ وَلا الخَطيـــبْ
الحُـــبُّ يَعْنـــي أنْ أُمَلِّكَـــكَ الغِنـــى ... وَالشَّـــمْسُ عَـــنْ مَلَكـــوتِ مَجْـــدِكَ لا تَغيـــبْ
مَعْنـــى أُحِبُّـــكَ أنْ أمَلِّكَـــكَ الهَنـــا ... وَهَنـــا فُـــؤادي فـــي يَـــدَيكَ سَـــكيبُ طيـــبْ
هُـــوَ أنْ أُحَمِّـــلَ عَنْـــكَ أصْـــنافَ العَـــذابْ ... وَاجـــودَ بِـــالغُفْرانِ كَـــالمَطَرِ السَّـــكيبْ
مَعْنـــى أُحِبُّـــكَ أنْ أُديـــمَ لَـــكَ الشَّـــبابْ ... فيَشـــيبُ أطْفـــالٌ وَقَلْبُـــكَ لا يَشـــيبْ
الحُـــبُّ رَبٌّ فـــاضَ مِـــنْ يَـــدِهِ الوُجـــودْ ... وَالفَـــيضُ جـــارٍ لِلقَريـــبِ وَلِلغَريـــبْ
مَعْنـــى أُحِبُّـــكَ أنْ أُمَلِّكَـــكَ الخُلـــودْ ... وَمَمالِـــكُ الـــدُّنْيا بِمـــا مَلَكَـــتْ تَخيـــبْ
الحُـــبُّ يَعْنـــي أنْ أعـــيشَ لِتَنْعَمـــا ... حَتّـــى تُغَـــرِّدَ فـــي السَّـــما كَالعَنْـــدَليبْ
إنّـــي أُحِبُّـــكَ بـــاذِلاً عَنْـــكَ الـــدِّما ... وَأجـــودُ بِـــالغُفْرانِ كَـــالمَطَرِ السَّـــكيبْ

مَعْنـــــى أُحِبُّـــــكَ أنْ أُمَلِّكَـــــكَ السَّـــــما وَأمـوتَ مِـنْ فَرَحـي فِـداكَ عَلـى الصَّـليبْ

سعد اسحق سعدي

نيسان ٢٠١٧